

دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
السنة الرابعة
جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ الموافق ابريل 2015 م
www.islamicsham.org
/ islamicsham1 / islamicsham

نور الشام

العدد: ٣١

في هذا العدد:

افتتاحية العدد:

من الفصائلية .. إلى بناء الدولة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ الثورة في سوريا لما قامت لم يكن لها تنظيم معين، ولا قيادة موحدة، كغيرها من الثورات الشعبية العامة التي تنطلق بعفوية دون تخطيط أو تنظيم مسبق.

وقد كانت هذه العشوائية مصدر قوة للثورة في بدايتها السلمية، ثم في عملها المسلح؛ بحيث عجز النظام عن احتوائها، أو القضاء عليها، أو تحجيمها، عبر القضاء على قيادتها، فاستمرت وانتشرت في جميع المناطق، وبين جميع الفئات.

اهتمت الثورة في بداية أمرها بتأمين المشاركين فيها، وضرب النظام في مفاصل قوته العسكرية، والبشرية، فاستطاعت تدمير عدد من مطاراته ومراكزه العسكرية الهامة التي كانت منطلقًا لهجماته الإجرامية على المدنيين والآمنين، والتخلص من أهم قياداته المجرمة، وهي إنجازات ضخمة ولا شك، بالإضافة لتحرير مناطق شاسعة من البلاد.

وانهمكت الفصائل المسلحة فيما بعد بإدارة شؤون المناطق المحررة بجميع تفاصيلها اليومية، من الطعام، والدواء، والنظافة، إلى غير ذلك، وتشعبت أعمالها حتى دخلت في الجوانب الخدمية، والقضائية، والإدارية، مما شكل ضغطًا وأعباء إدارية ومالية ضخمة على الفصائل، إلى جانب قيامها بالعمل العسكري المرهق والمكلف.

كما أدى ذلك إلى اتجاه العمل الإداري للمناطق المحررة، والشؤون العامة إلى النزعة العسكرية، والتي تؤثر بطبيعتها على كافة المنظومة الفكرية، والثقافية، والإدارية، وتفقد مؤسسات المجتمع دورها وقوتها أمام سطوة القوة العسكرية.

بل أدى هذا -مع عوامل أخرى عديدة- إلى تعثر مشاريع الوحدة أو الاندماج بين تلك الفصائل؛ لتشعب الملفات التي ينبغي العمل عليها، ونزعة الشك والرغبة في القيادة، والتي تورثها العقلية العسكرية.

إن ظهور هذه الآثار السلبية في الثورة أدى إلى العديد من السلبيات والمشاكل في المناطق المحررة، على المستوى القيادي والإداري، وعلى المستوى الخدمي لعامة الناس، حتى بدى التذمر يظهر في أوساط العامة.

ومع مزيد من التقدم والتوسع في تحرير مناطق أخرى من سوريا، وتحقيق ضربات نوعية في جسم النظام المجرم، إلا أن الإشكالات السابقة لا تزال ماثلة أمام العيان.

وقد استفاد النظام المجرم وخوارج تنظيم (الدولة) من هذه السلبيات في محاولة زعزعة أمن المناطق المحررة، واختراقها بالعمليات الأمنية لاغتيال عدد من قادتها، وإظهار فشل هذه المكونات في إدارة المناطق المحررة، بل وقدرتها على الاستمرار في الثورة، فضلاً عن مصداقيتها في أنها جهات ثورية.

لعل المرحلة السابقة بإيجابياتها، وسلبياتها، ومراحلها كانت من طبيعة تلك المرحلة، بل كانت في بعض الأوقات عامل قوة، أصبحت هذه الحالة الآن عامل ضعف، وتفرقة، وخصام.

فإذا أردنا للثورة الانتصار والتقدم، وتبَنّي الناس لها، فلا بد من الانتقال بالثورة من حال الثورة والفصائلية إلى حال الدولة، وما يعنيه ذلك من:

١- التوجه إلى دمج الفصائل العسكرية، ووضعها تحت قيادة موحدة، يكون لها خطة عمل واضحة الملامح والخطوات.

٢- توزيع الأعباء الإدارية على الجهات المتخصصة بها، كالخدمات، والإدارات المحلية، ونحو ذلك.

٣- العمل على وضع رؤية سياسية للمرحلة القادمة، بما فيها جميع الاحتمالات.

٤- السعي الجاد إلى استقطاب الخبرات والكفاءات الموجودة في المناطق المحررة، أو التي ما زالت تحت سلطة النظام.

وبذلك يمكن توفير بيئة أقرب إلى الدولة الطبيعية على الرغم من ظروف القصف والحصار، والانتقال بها من مرحلة الفصائلية إلى بداية مرحلة الاستقرار، وبناء الدولة، بمشيئة الله تعالى.

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.. للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

أحكام حد الحرابة وضوابط تطبيقه

المكتب العلمي _ هيئة الشام الإسلامية

السؤال:

ما هو حدُّ الحرابة؟ وما الشروطُ التي يجب توفّرُها في الفرد أو المجموعة حتى يقال عنها: إنها محارِبةٌ، وإنها مفسدةٌ في الأرضِ؟ ومن يقوم بتطبيق عقوبة الحرابة ؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمدُ للهِ، والصّلاةُ والسّلامُ على رسولِ الله، وبعدُ:

فالحرابةُ من كبائرِ الذّنوبِ، وأخطرِ المعاصي، وأعظم الجرائم التي تهدّدُ حياةَ النّاس وأمنَهم، ولذلك قررت الشّريعةُ فيها أشدَّ العقوباتِ، وَفقَ ضوابطَ وشروطٍ قرّرها العلماءُ، وتفصيلُ ذلك فيما يلي:

أولاً: الحرابةُ -وتُسمّى قطعَ الطريقِ- هي: التعرّضُ للنّاسِ بالسّلاحِ لإخافتهم، وقطع طريقِهم، أو الاعتداءِ عليهم في أنفسهم، أو أعراضِهم، أو أموالِهم، سواءٌ كان ذلك في الصّحارى، أو في البُنيانِ.

قال الإمامُ الشّافعيُّ في «الأمِّ»: «والمحاربونَ: القومُ يَعرِضُونَ بالسِّلاحِ للقَوْمِ حتّى يَغْصِبوهمْ مُجاهرةً».

وقالَ ابنُ النّجّار في «منتهى الإرادات»: «الذين يَعرضون للنّاس بسلاحٍ -ولو عصًا أو حجرًا- في صحراءَ، أو بنيانٍ، أو بَحْرٍ، فيَغصِبون مالاً محترَمًا مجاهرةً».

وقال ابنُ حزم في «المحلّى»: «كلُّ مَن حارب المارّةَ، وأخاف السَّبيلَ بقتلِ نَفْسٍ، أو أخْذِ مالٍ، أو لجِراحة، أو لانتهاك فرْجٍ: فهو محاربٌ».

وقالَ القرطبي في «تفسيره»: «إخافة الطريقِ بإظهار السّلاح قصدًا للغلبة على الفروج، فهذا أفحشُ المحاربة، وأقبحُ من أخذ الأموال، وقد دخلَ في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣]».

فالوصفُ الذي يتحقَّقُ به «حكمُ الحرابة» هو:

قطعُ الطريق، أو الاعتداءُ على النّاسِ، وتخويفهم بقوّةِ السّلاحِ، سواء وقع ذلك مِن فردٍ، أو جماعةٍ.

أمّا مجردُ الاعتداءِ بغير قوّة السّلاح: فليس بحرابة.

قال ابنُ قدامة المقدسيُّ في الكافي: «ومِن شرطِ المحاربِ: أن يكون معه سلاحٌ، أو يقاتلَ بسلاح؛ لأنَّ مَن لا سلاحَ له لا منَعةَ له، وإنْ قاتل بالعصا والحجارة فهوَ محاربٌ؛ لأنه سلاحٌ يأتي على النّفسِ والأطراف، أشبه الحديدَ».

وقال ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى»: «فالصَّوابُ الذي عليه جَماهيرُ المسلمين: أَنَّ مَنْ قاتلَ على أَخْذِ المالِ بأَيِّ نَوْعٍ كانَ مِن أنواعِ القتالِ: فَهُوَ مُحارِبٌ».

ويُلحقُ بالحرابة: كلُّ جريمة يُقصد بها الإفسادُ في الأرض، وترويعُ الآمنين، فيدخل في وصفِ الحرابة: قطّاعُ الطّرقِ، والقراصنةُ، وعصاباتُ الخطفِ والسّطوِ، و(التشبيح)، و(التشليح)، و(التشويل).

ثانياً: الحرابةُ من أشدِّ الجرائم ضررًا على الأفرادِ والمجتمعات: وهي أشدُّ من الجرائم التي تستهدف أشخاصًا بأعيانهم، فالمحارب يقصدُ إيقاعَ الجريمة على أيِّ كان، مما يترتب على فعلِها نشرُ الرُّعب في قلوب النّاس عامّةً، فيُفقدُ الأمنُ، ويَشيع الخوفُ، وتتقطع الطّرقُ، وتتعطل المصالحُ، وتختلُّ المعايشُ، لذلك قبّح اللهُ حالَ المحاربين، وغلّظ عليهم العقوبةَ، وجعلها أشدَّ وأنكى من الجرائم الأخرى، وتبرّأ النّبيُّ ﷺ منهم، وأجمع المسلمون على قُبح صنيعِهم، وسوءِ فعلِهم.

وإقامةُ الحدِّ على المحاربين واجبٌ بدلالة الكتاب واتفاقِ عامّة علماءِ الأمّة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقد ثبت في الصّحيحين أنّ نفرًا من عُرينةَ قَدموا المدينةَ، وأظهروا الإسلامَ، ثم غدروا برعاة الإبل، فقتلوهم، وسرقوا الإبلَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فأرسل في آثارِهم، فأُدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم،

فقُطعت أيديهم وأرجلُهم، ثم نبذهم في الشّمس حتى ماتوا. قال أبو قِلابة: «وأيُّ شيءٍ أشدُّ مما صنع هؤلاءِ ؟! ارتدّوا عن الإسلام، وقَتلوا وسرقوا».

وزاد أبو داود والنسائي: قال أنسٌ رضي الله عنه: «فأنزل اللهُ عز وجل: ﴿إنّما جزاءُ الذين يحاربون اللهَ ورسولَه..﴾ الآية».

وفي الصّحيحين أيضًا مِن حديث ابنِ عمرَ وأبي موسى رضي الله عنهم، عن النّبي ﷺ قال: (مَن حمل علينا السّلاحَ: فليس مِنّا).

ولكونِ الحرابةِ مما يتعلّقُ بحفظ الضّروريات التي لا قوامَ لحياة النّاس إلا بها مِن النّفوس والأعراض والأموال، ولارتباطها بحقوق العباد فهي مِن الحدود التي ينبغي تعجيلُها وإقامتُها؛ لتستقيم أمورُ النّاس، وتنتظمَ حياتُهم، وتتحقّقَ مصالحُهم، إلا إذا ترتّب على إقامة الحدّ مفسدةٌ أعظمُ مِن تركِه.

وقد سبق بيانُ ذلك في فتوى (هل تقام الحدود والعقوبات في المناطق المحررة من سوريا في الوقت الحالي؟).

ثالثاً: طلبُ المحاربينَ ومحاكمتُهم على وَفق شرع الله مِن فروض الكفايات التي يقوم بها الحاكمُ والسّلطانُ، وإذا عجَزَ الإمامُ عنهم لزِم النّاسَ مساعدتُه ومؤازرتُه في ذلك، وفي حالِ عدم وجودِ السُّلطان يتعلّق الواجبُ بمَن يقوم على مصالح النّاسِ مِن الهيئات الشّرعيةِ والقضائيّة والعسكرية، وإذا رفض المحاربونَ الخضوعَ لحُكم الشّرع، وامتنعوا بقوتهم وشوكتِهم وجب قتالُهم، ويُعتبر قتالُهم مِن الجهادِ في سبيل الله.

جاء في المدونة: «قلتُ: أرأيتَ المحاربينَ، أجهادُهم عند مالكٍ جهادٌ؟ قال: قال مالك: نعم، جهادُهم جهادٌ».

وقال ابنُ الأزرق في «بدائع السّلك»: «جِهَادُ مَن عدا الكفّار مِن بَاغٍ، ومرتدٍّ، ومحارب، ولصٍّ: جهادٌ مُعْتَبرٌ».

وقال ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى»: «فأمّا إذا طلبهم السُّلطانُ أو نوّابُه لإقامة الحدِّ بلا عدوان فامتنعوا عليه فإنه يجب على المسلمين قتالُهم باتفاق العلماءِ حتى يُقدَرَ عليهم... وقتالُ هؤلاء أوكدُ مِن قتالِ الطّوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام؛ فإنّ هؤلاء قد تحزّبوا لفسادِ النّفوس والأموال، وهلاك الحرث والنّسل؛ ليس مقصودُهم إقامةَ دينٍ، ولا مُلكٍ.... بل طَلَبُ هؤلاءِ مِن نَوعِ الجِهادِ في سَبيلِ اللّه».

رابعاً: بيّن اللهُ تعالى عقوبةَ المحاربين في كتابه فقال سبحانه: ﴿إنّما جزاءُ الذينَ يُحاربون اللهَ ورَسولَه ويَسعونَ في الأرض فَسادًا أن يُقَتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيديهِم وأرجُلُهم مِنْ خِلافٍ أوْ يُنْفَوا مِن الأرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

فذكر عزّ وجلّ أربعَ عقوباتٍ معطوفةٍ بحرف «أو «الدّالِّ على التّنويعِ والتّقسيم، لا التخييرِ عند أكثر العلماءِ، وهي:

١- القَتل.

٢- الصّلب: وهو رفعُهم بعد القتلِ على مكانٍ عالٍ؛ ليراهم مَن حضرهم من النّاسُ، ويشتهر أمرُهم في المجتمعِ الذي روّعوه فيكون رادعًا لغيرهم.

٣- قطع الأيدي والأرجل مِن خِلافٍ: فتُقطعُ اليدُ اليمنى مِن مفصل الكف، والرِّجلُ اليسرى مِن مفصلِ القدم.

٤- النّفي من الأرض: بإبعادهم وطردهم مِن بلدانهم حتى تُعلَم توبتُهم، ويقومُ السّجنُ مَقام النّفي إن لم يكن في النفي عقوبةٌ لهم، أو كان مظِنةً للهروب مِن العقوبةِ.

ويختلف حكمُ المحاربين بحسب اختلاف جرائمهم، فإذا قَتلوا وأَخذوا المالَ قُتلوا وصُلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المالَ قُتلوا ولم يُصلبوا، وإذا



أخذوا المال ولم يَقتلوا، قُطعت أيديهم وأرجلُهم مِن خلافٍ، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نُفوا مِن الأرض.
قال الكاساني في «بدائع الصّنائع»: «لا يُمكن إجراءُ الآية على ظاهرِ التّخيير في مُطلقِ المحارب؛ لأنَّ الجزاءَ على قدْرِ الجناية يزدادُ بزيادةِ الجناية، وينتقصُ بنقصانها، هذا هو مقتضى العقلِ والسّمع أيضاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وجزاءُ سَيئةٍ سَيئةٌ مثلُها﴾ [سورة الشورى: ٤٠]». وهذا القول مرويٌّ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وبه أخذ جمهورُ العلماء.
قال ابنُ تيمية: «وهذا قولُ كثيرٍ مِن أهلِ العلم... فمَن كان مِن المحاربين قد قَتل، فإنه يَقتله الإمامُ حَدّاً، لا يَجوز العفوُ عنه بحالٍ بإجماعِ العلماء، ذكره ابنُ المنذر، ولا يكون أمرُه إلى ورثةِ المقتول».

خامساً: يُطبّقُ حدُّ الحرابةِ على جميع المحاربين البالغين مِن الرِّجال والنِّساء، باعتدائهم على المعصومين مِن المسلمين، أو الذّمّيين، أو المستأمنين، لا فرقَ في ذلك بين مَن باشر القتلَ والسّرقةَ، والترويعَ بنفسه، أو كان مُعينًا له يحميه ويناصره.
قال ابنُ قدامةَ في «المغني»: «لأنَّ المحاربةَ مبنيةٌ على حصولِ المَنَعة والمعاضدةِ والمناصرة، فلا يتمكنُ المباشِرُ مِن فعله إلا بقوةِ الرِّدْءِ [المعاونة والمساندة]، بخلاف سائرِ الحدود. فعلى هذا، إذا قتل واحدٌ منهم، ثبت حكمُ القتلِ في حقِّ جميعِهم، فيجب قتلُ جميعِهم. وإن قتل بعضُهم، وأخذ بعضُهم المالَ، جاز قتلُهم وصلبُهم، كما لو فعل الأمرين كلٌّ واحدٍ منهم».

وقال ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى»: «وإذا كان المحاربون الحراميّةُ جماعةً فالواحدُ منهم باشرَ القتلَ بنفسه، والباقون له أعوانٌ وردءٌ له، فقد قيل: إنه يُقتل المباشرُ فقط، والجمهورُ على أنَّ الجميعَ يُقتلون، ولو كانوا مائةً، وأنَّ الرِّدْءَ والمباشرَ سواءٌ، وهذا هو المأثورُ عن الخلفاء الراشدين.. ولأنَّ المباشرَ إنما تمكن مِن قتله بقوةِ الرِّدءِ ومَعونته. والطائفةُ إذا انتصر بعضُها ببعضٍ حتى صاروا ممتنعين فهم مشتركون في الثواب والعقاب كالمجاهدين».

سادساً: مَن تاب مِن المُحاربين قبل القبضِ عليه: سقط عنه الحدُّ؛ لقوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من قَبلِ أن تَقدِروا عليهم فاعْلَموا أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، فيَسقط عنهم بهذه التّوبةِ: تحتُّمُ القتلِ، وقطعِ اليد والرجل، والنَّفي والصَّلب.
وأمّا حقوقُ الآدميين: فلا تَسقط بل يُعاقب كلُّ واحد بحسب جُرمه.
قال الماورديُّ في «الأحكام السُّلطانية»: «فإن تابوا قَبلَ القدرةِ عليهم سقطتْ عنهم مع المآثم حدودُ الله سبحانه، ولم تسقط عنهم حقوقُ الآدميينَ، فمَن كان منهمَ قد قتلَ فالخيارُ إلى الوليِّ في القصاص منه، أو العفوِ عنه، ويسقط بالتوبة إحتامُ قتله، ومَن كان منهم قد أخذ المالَ سقط عنه القطعُ، ولم يسقط عنه الغُرمُ إلا بالعفو».
وقال ابنُ قدامة في «المغني»: «فإن تابوا مِن قبلِ أنْ يُقدر عليهم، سقطت عنهم حدودُ الله تعالى، وأُخذوا بحقوق الآدميين، مِن الأنفس، والجراح، والأموالِ، إلا أنْ يُعفى لهم عنها، لا نعلم في هذا خلافًا بين أهلِ العلم».

أمّا بعدَ القدرة على المحارب وثبوت الجرم عليه: فلا تنفعه التوبةُ، ولا عفوُ أولياءِ الدَّم.



قال ابنُ قدامةَ في «المغني»: «لا يدخله عفوٌ، أجمع على هذا كلُّ أهلِ العلم».
وقالَ البغوي في «معالم التنزيل»: «أمّا مَن تابَ بعدَ القُدرةِ عليه: فلا يَسقُطُ عنهُ شيءٌ منها».
وقال ابنُ القيّم «إعلام الموقعين»: «والحدودُ لا تَسقطُ بالتّوبةِ بعد القُدرةِ اتّفاقًا».

سابعاً: مِن المسائل المهمّة معرفةُ الفَرْقِ بين المحاربين مِن جهة، والبُغاةِ والخوارجِ مِن جهةٍ أخرى؛ لما يترتّب على الخلط بين هذه الأوصافِ الشرعيةِ، وتعميمِ أحكام بعضِها على بعضٍ مِن الفَساد، ووضع الأمورِ في غير موضعِها، وتجاوزِ حدودِ الشّريعةِ، وتعظمُ الحاجةُ إلى هذا التّفريق في أزمنة الفتن، وانتشار الجهل، واشتباه الأمور، واختلاط المصلح بالمفسد.

وحقيقةُ الفارقِ بينها: أنَّ البغاةَ والخوارجَ خرجوا عن تأويلٍ يظنّون به أنهم على حقٍّ، وأما المحاربون فليس لهم تأويلٌ، ولا يظنّون أنهم على حقٍّ، ولا يدّعون أنهم يعملون ذلك موافقةً للشرعِ، بل إنّهم يسفكون الدّماءَ، ويسلبون الأموالَ، وينتهكون الأعراضَ، وهم مقرّون بحُرمةِ ذلك عليهم.
جاء في المدونة: «قلتُ: فما فرقُ ما بين المحاربين والخوارج في الدّماء؟ قال: لأنَّ الخوارجَ خرجوا على التأويل، والمحاربين خَرجوا فسقًا وخُلوعًا على غير تأويلٍ،.. وإنّما هؤلاء الخوارجُ قاتلوا على دينٍ يرون أنّه صوابٌ».
ويخالفُ الخوارجُ البغاةَ في كون الخوارج يكفّرون مخالفيهم، ويستحلّون دماءَهم.
فالبغاةُ والخوارجُ لهم أحكامٌ خاصةٌ بيّنها أهلُ العلم، ولا تنطبق عليهم أحكام المحاربين.

نسألُ اللهَ سبحانه أنْ يفقّهنا في ديننا، وأنْ يرفع عنا البلاءَ والجهلَ، وأن يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعمل، وأنْ يوفق القائمين على الهيئاتِ والمحاكم الشّرعية في إقامةِ العدلِ بين النّاس، والتّروّي في ضبطِ التُّهَم، والتّثبّت في التّفاصيل، والتّحرّي في الأحكام.
والحمد لله رب العالمين.

مشروع ملالي إيران.. الأبعاد والنتائج

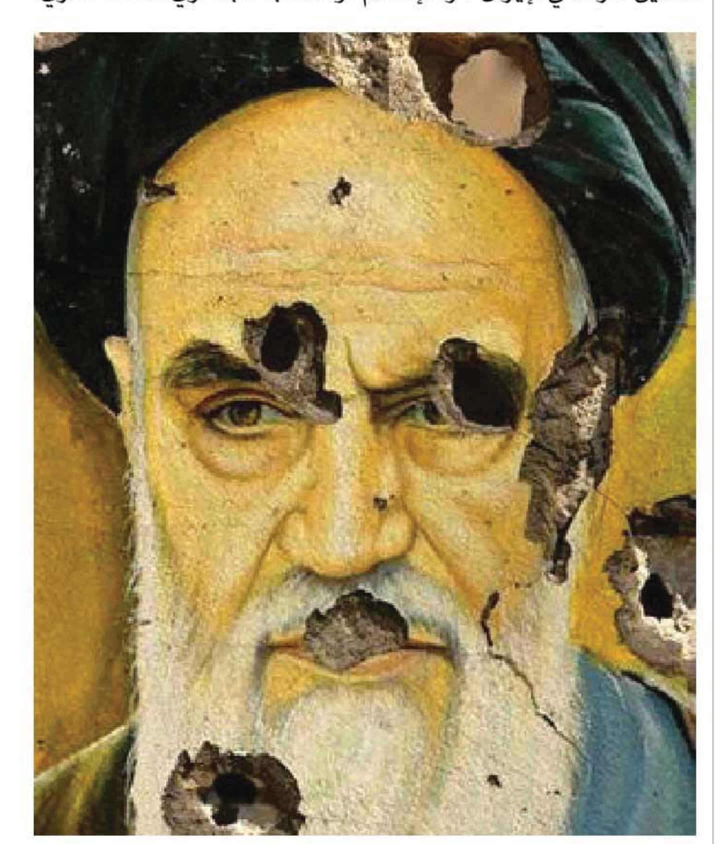
غازي التوبة

عندما عاد الخميني إلى طهران، ما عاد ليكون حاكمًا يخلف الشاه فقط، بل عاد حاكمًا يحمل مشروعًا ذا مضمون ديني وثقافي وسياسي.. من أجل تحقيق أهداف متعددة، فما ملامح هذا المشروع؟ وما الذي حققه؟

وما تقويمنا لنتائجه؟

لقد اتضح أن أبرز ملامح هذا المشروع هو أن قيادته دينية تمثلت في «ملالي إيران»، وأنها سخرت كل إمكانيات إيران الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والبشرية والإعلامية من أجل تحقيق هذا المشروع، وأن المشروع جعل أول أهدافه نشر التشيّع، وتحويل هذه الأمة إلى «أمة شيعية».

وقد اتضح هذا من إصراره على جعل إيران تلتزم المذهب الجعفري الاثني عشري، مع أن وفودًا كثيرة من أحزاب العالمين العربي والإسلامي وجماعاتهم ومفكريهم وقادتهم، جاءته وطلبت منه ألا يحول إيران إلى دولة طائفية، بل يجعلها دولة «الأمة الإسلامية» لكنه أصر على ذلك، وجعل المادة الثانية عشرة من الدستور الإيراني تنص على ما يلي: «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب الجعفري الاثنا عشري، وهذه المادة تبقى للأبد غير قابلة للتغيير».



وقد استخدم المشروع الذي قاده «ملالي إيران» عدة أدوات، هي:

– التواصل مع الطوائف الشيعية الموجودة في بعض البلدان العربية والإسلامية، وإمدادها بالمال والإعلام والتوجيه والخبرات والدعاة.. وتحريضها على الدعوة إلى التشيع في محيطها السني، مما ولد تصادمًا بين طرفين كبيرين من الأمة في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية. وقد أدى هذا إلى الاقتتال وإسالة الدماء في بعض الأماكن كما حدث في العراق وسوريا واليمن، مع أن الأمة أحوج ما تكون إلى الوحدة لمواجهة الخطر الأكبر الذي يقوده المشروع الغربي الصهيوني.

– نشر التشيع في البلاد ذات الطابع السني التي لا طوائف شيعية فيها، عن طريق إرسال الدعاة لها، وفتح المراكز الثقافية فيها، وتوزيع الكتب والمنشورات على أهلها، وتوجيه الإذاعات لها، واستقبال البعثات التعليمية منها.. مما ولد صراعًا بين أبناء البلد الواحد، وأحدث فتنًا ومشاكل، كما حدث في مصر ودول المغرب العربي.

– استغلال القضية الفلسطينية: لقد قال الخميني في أحد مجالسه الخاصة: «إذا لم يكن لنا يد في القضية الفلسطينية فلا قيمة لسياستنا الخارجية». لذلك أقام «ملالي إيران» علاقات مع معظم الفصائل الفلسطينية تطبيقا لكلمته، وأمدوها بالمال والسلاح من أجل أن يكون لهم يد في القضية الفلسطينية، لأنهم يعتقدون أن هذه اليد في القضية الفلسطينية ستكون مدخلا لتجميل «مشروع ملالي إيران» من جهة، ومدخلًا لقلوب المسلمين من أجل «نشر التشيع» من جهة ثانية.

والآن نأتي إلى السؤال الثاني وهو: ما الذي حققه مشروع «ملالي إيران»؟

لقد حقق المشروع نتائج متعددة في بلدان عدة، وسنتحدث عن بعضها وليس جميعها لأن المقام لا يتسع لذلك، ومنها:

– لبنان: دعم «ملالي إيران» الطائفة الشيعية في لبنان، وأنشؤوا حزب الله عام ١٩٨٢، ودعموه بالمال والسلاح والتوجيه والخبرات، وقد استطاع حزب الله أن يكون بعد ثلاثين سنة دولة داخل دولة، بل دولة أقوى من الدولة اللبنانية مختطفًا كل لبنان.

– سوريا: دعم «ملالي إيران» حافظ الأسد في سوريا، وألحقوا الطائفة العلوية بالطائفة الشيعية مع أن هذا مناقض لأصول مذهبهم، ثم دعموا نظام بشار في وجه الثورة السورية التي قامت عام ٢٠١١، ولولا دعمهم لسقط نظام بشار، وقد سمح لهم حافظ الأسد وابنه بشار بنشر المذهب الشيعي، فتحولت كثير من الأسر إلى المذهب الشيعي، وقامت كثير من الحسينيات في طول البلاد وعرضها،

وأقاموا المساجد على كثير من القبور والمشاهد، وأنشؤوا حوزات علمية ومعاهد دينية تخدم توجههم الطائفي المذهبي.

- أقام «ملالي إيران» علاقات مع معظم الفصائل الفلسطينية وأمدوها بالمال والسلاح من أجل أن يكون لهم يد في القضية لأنهم يعتقدون أن ذلك سيكون مدخلًا لتجميل «مشروع ملالي إيران» من جهة، ومدخلًا لقلوب المسلمين من أجل «نشر التشيع» من جهة ثانية».

- العراق: وضع «ملالي إيران» عيونهم على العراق منذ اللحظة الأولى لقيام الثورة الإيرانية، لأن فيها «المقدسات الشيعية» من جهة، ولأن فيها أكبر «طائفة شيعية» في العالم العربي من جهة ثانية، وقد قامت حرب ضروس بين نظام «ملالي طهران» ونظام «صدام حسين» استمرت ثماني سنوات دمرت البلدين.

وقد تعاون «ملالي إيران» مع أميركا وإسرائيل في محطات عدة أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وأبرز الفضائح التي أشارت إلى ذلك فضيحة إيران-غيت التي وقعت عام ١٩٨٥.

ثم تعاون «ملالي إيران» مع أميركا أثناء حرب التحالف الدولي لإخراج صدام حسين من الكويت عام ١٩٩١، ومرة أخرى تعاونوا مع أميركا أثناء احتلالها العراق عام ٢٠٠٣، ودفعوا كل قيادات الشيعة الدينية والسياسية من أجل إنجاح هذا الاحتلال.

نجحت أميركا في احتلال العراق خلال ثلاثة أسابيع فقط وهي فترة قياسية، ثم تعاونت القيادات الشيعية الدينية والسياسية في العراق مع المحتل، واستلمت قيادة العراق، واستأثرت الطائفة الشيعية بمعظم المناصب السياسية والعسكرية والأمنية في عهد نوري المالكي، واتضح أن العراق يتجه إلى التقسيم المعلن، وهو الآن في دائرة التقسيم المضمر، فهناك دولة كردية في الشمال، وطائفة سنية مضطهدة من قبل حكام بغداد في الوسط، ودولة شيعية في الجنوب.

- اليمن: دعم «ملالي إيران» الحوثيين بالمال والسلاح والخبرات، وخاض الحوثيون حروبًا عدة مع الجيش اليمني عندما كان علي عبد الله صالح رئيسا للجمهورية، ثم التف الحوثيون على الاتفاق الدولي الذي رسمته «المبادرة الخليجية المعدلة» واحتلوا صنعاء في ٢٠١٤/٩/٢١، وها هم الآن يعيدون تكرار ما فعله حزب الله في لبنان، في محاولة لاختطاف اليمن وتشكيل دولة لهم داخل الدولة.

من المعلوم أن «المشروع الغربي الصهيوني» هو المشروع الفاعل والمؤثر في المنطقة منذ قرن ونصف القرن، وهو يلتقي مع «مشروع ملالي إيران» في محاور عدة، أهمها محوران اثنان، هما:

الأول: تفتيت الوحدة الثقافية:

من المعلوم أن نشر المذهب الشيعي سيكون في محيط أهل السنة، وسيؤدي إلى صراع معهم، وهذا ما سيؤدي إلى تفتيت الوحدة الثقافية، مع أن هذه الوحدة هي أثمن ما نملك في مواجهة الصراع مع المشروع الغربي الصهيوني، وهي ما يجب أن نحرص على بقائها وعدم إضاعتها في معارك جانبية، وتوفير طاقة الأمة من أجل البناء الحضاري.

الثاني: التجزئة السياسية:

لقد كانت ثمرة تحريك «ملالي إيران» الطوائف الشيعية في العالم العربي، التجزئة السياسية للبلدان العربية، وهو ما قد يحصل في العراق بتقسيمه إلى ثلاث دول: كردية في الشمال، وسنية في الوسط، وشيعية في الجنوب. وهو ما يحصل الآن في اليمن وترجيح تقسيمه إلى دولتين، وهو ما يمكن أن يحصل في سوريا من ناحية إمكانية تقسيمه إلى عدة دول: دولة للعلويين في حمص والساحل، ودولة سنية في حلب ودمشق، وكردية في الشرق، ودرزية في الجنوب.. إلخ.

والآن بماذا نحكم على «مشروع ملالي إيران»؟ من الجلي بعد تلك الوقائع المتعددة أن نحكم على هذا المشروع بأنه مشروع عدو للأمة، وقد تأكد هذا بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، فقد قدمت قيادات «مشروع ملالي إيران» كل الدعم لقوات الاحتلال من أجل غزو العراق واحتلاله، وقد كانت نتيجة ذلك تدمير العراق ومقتل مليون شخص، وحل جيشه الذي كان يعتبر أكبر جيش عربي مواجه لإسرائيل بعد انسحاب مصر من المواجهة إثر اتفاقات كامب دفيد عام ١٩٧٨.

وقد تأكد أيضًا أن «مشروع ملالي إيران» عدو للأمة عندما ساند نظام بشار الأسد الذي كاد يسقط عام ٢٠١٢ بعد ثورة الشعب عليه في ٢٠١١/٣/١٥، وعندما أمرت قيادة هذا المشروع حزب الله بإرسال قواته لسوريا امتثل الحزب للأمر، مما جعل النظام يصمد في وجه الثورة عام ٢٠١٣.

من الواضح أن «مشروع ملالي إيران» مشروع معاد للأمة، منذ أن قاده الخميني عام ١٩٧٩، وربما كانت حقيقة هذا المشّروع خافية على كثير من أبناء الأمة ودعاتها وعلمائها وجماعاتها وأحزابها في البداية، لكنها لم تعد خافية على أحد بعد أحداث العراق عام ٢٠٠٣، وسوريا عام ٢٠١١، واليمن ٢٠١٤، لذلك يجب أن يراجع جميع الذين أخطؤوا في فهم حقيقة المشروع مواقفهم، ويصوبوا حركتهم بناء على الحقائق الجديدة، فالتراجع عن الخطأ خير من التمادي فيه، وإلا فإن حكم الأمة والتاريخ سيكونان قاسيين في حقهم.

الخلاصة:

لقد انطلق «مشروع ملالي إيران» عام ١٩٧٩ بقيادة الخميني، وقد استهدف تغيير هوية الأمة إلى «أمة شيعية»، وقد استخدم عدة أدوات، منها: استغلال القضية الفلسطينية، ثم إحداث تغييرات جذرية في عدد من الدول العربية بالتعاون مع المشروع الصهيوني الغربي، وأبرز نتيجتين حققها المشروع هما: تفتيت وحدة الأمة الثقافية والتجزئة السياسية لبعض البلدان العربية، لذلك كان من الطبيعي أن تصنف الأمة هذا المشروع بأنه مشروع عدو لها.



نصائح بعد تحرير إدلب

مجاهد مأمون ديرانية

هذه مقالةٌ لم أؤلفها ولم أخترع عنوانها، بل نسختُه من الوسم الثوري (الهاشتاغ) الذي أطلقه الناشطون أمس توافقًا مع هذه المناسبة العظيمة، تحرير إدلب. وكل ما ستقرؤونه فيها إنما هو انتقاء وجمع وترتيب، أخذته من الأفكار الثريّة الكثيرة التي قدّمها ناشطو الثورة وإعلاميّوها ومفكروها تحت الوسم المذكور.

سأبدأ بنسخ التغريدة الموفّقة التي نشرها أخونا الدكتور أحمد موفق زيدان، وهي تلخّص المطلب الثوري الأسمى في هذه المرحلة، قال فيها: «إن واجب الوقت هو عدمُ تسيّد جبهة النصرة المشهدَ، وتشكيل مجلسٍ لإدارة المدينة بعيدًا عن الحزبية».

وأنا أؤكد وأؤيّد نصيحته القيّمة، وأزيد عليها بعض التفاصيل التي اتفق عليها معظمُ الذين شاركوا في الكتابة تحت وسم «نصائح بعد تحرير إدلب»، فهم يرجون ويأمُلون أن تتفق الفصائلُ المشاركة في «حملة جيش الفتح» على المسائل الآتية:

١- تعيين محافظ لإدلب (يفضَّل أن يكون من أبناء المدينة ومن وجهائها وأن يكون ذا خبرة مشهود لها في الإدارة) والإشراف على انتخاب مجلس إدارة محلي تُسنَد إليه مهمة الإدارة المدنيّة في المدينة المحررة.

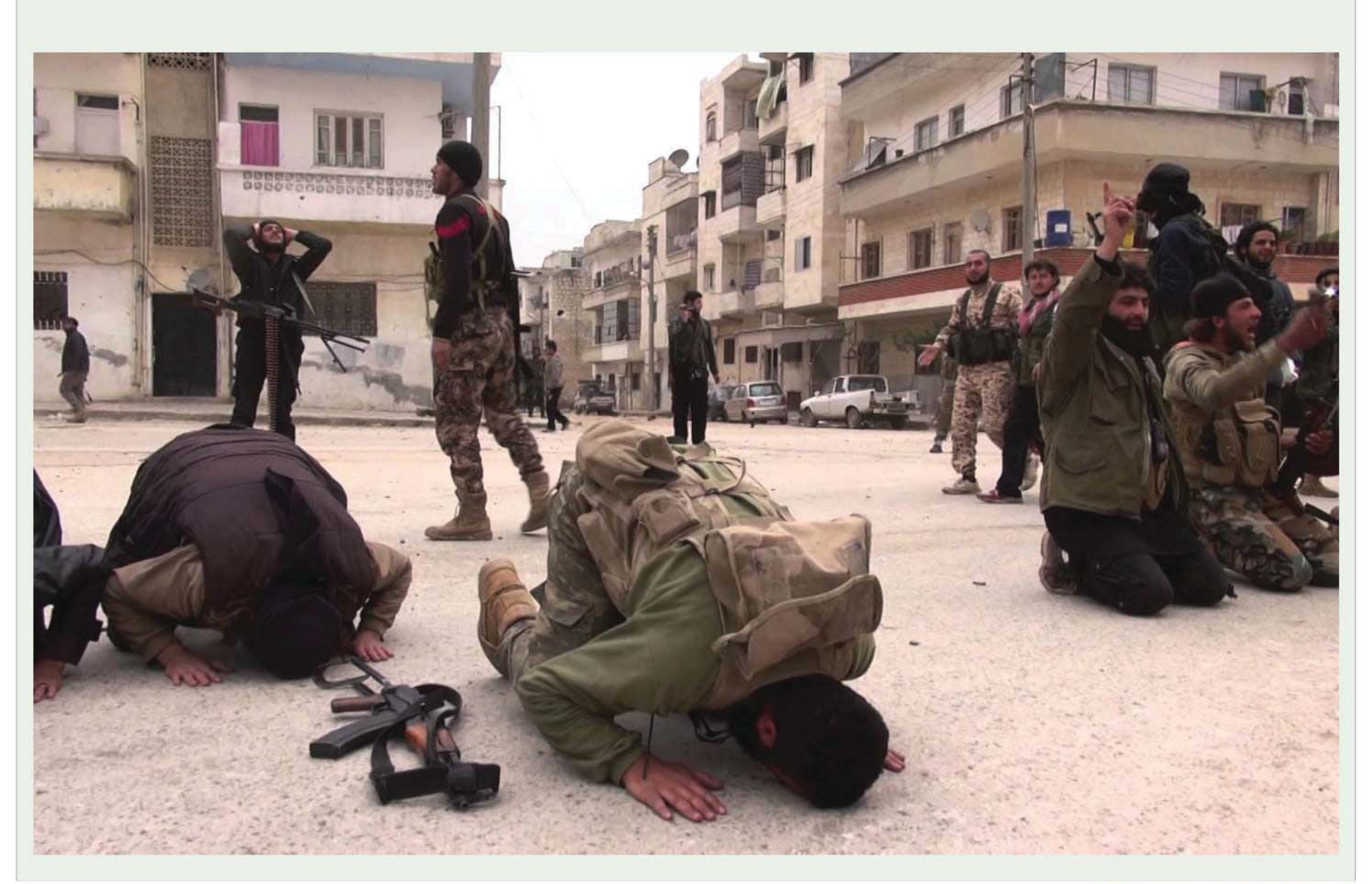
٢- اقتصار عمل جيش الفتح على الحماية والأمن، ويقتضي ذلك نقلَ السلاح الثقيل خارج المدينة، ومنعَ المظاهر المسلحة داخلَها، وإنشاءَ جهاز شرطة مشترك لحفظ الأمن الداخلي، وتثبيتَ حواجز مشترَكة على مداخل المدينة وعدمَ إنشاء حواجز فردية خاصة بالفصائل.

٣- الالتزام بالحفاظ على المال العام وعدم تقسيمه ضمن غنائم المعركة (التي تقتصر على السلاح) وبحماية مؤسسات الدولة وتحييدها عن السيطرة والنفوذ الفصائلي، والحرص على استمرار عملها وتثبيت كوادرها الفنّية والاختصاصية، إلا مَن ثبت عليه جرم التواطؤ مع النظام والعمالة له.

٤- التعهد بعدم الاستيلاء على المؤسسات والأملاك العامة أو استخدامها مقرّات للفصائل، والامتناع عن فتح مقرات لها داخلَ المدينة،ومَن شاء أن ينشئَ مقرًا له فلينشئه في مبنى مستأجَر خارج المدينة.

٥- عدم السماح لأي فصيل بأن ينشئ محكمة خاصة به، فيُحصَر القضاء بمحكمة موحدة يُختار لها أهل الكفاءة بعيدًا عن المجاملة والمحاصصة، ويُعتمد القانون العربي الموحد أساسًا للقضاء، وتُفرَز للمحكمة على الفور قوةٌ تنفيذية كبيرة تحميها من تدخل أي فصيل أو تمرده على القضاء.

٦- الالتزام بعدم رفع أي راية فصائلية على أي مبنى حكومي، وكذلك في الميادين والساحات العامة، فإما أن تُرفَع راية «جيش الفتح»، أو يُرفَع علم الاستقلال (وهو الأصل وعليه المعوَّل في استرجاع هوية الثورة، ولنا عودة إلى هذه المسألة المهمة في منشور آخر بإذن الله).



عقيدة المسلم (١٩)

التوسل وأحكامه (*)

تعريفه:

التوسل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

١ - **التوسل المشروع:** هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة الواردة في الكتاب والسنة.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين توسلوا إلى الله بحفظ أحدهم للأمانة، والآخر ببر والديه، والثالث بعفته عن الحرام، ففرَّج الله عنهم.

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

٢ - **التوسل الممنوع:** هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

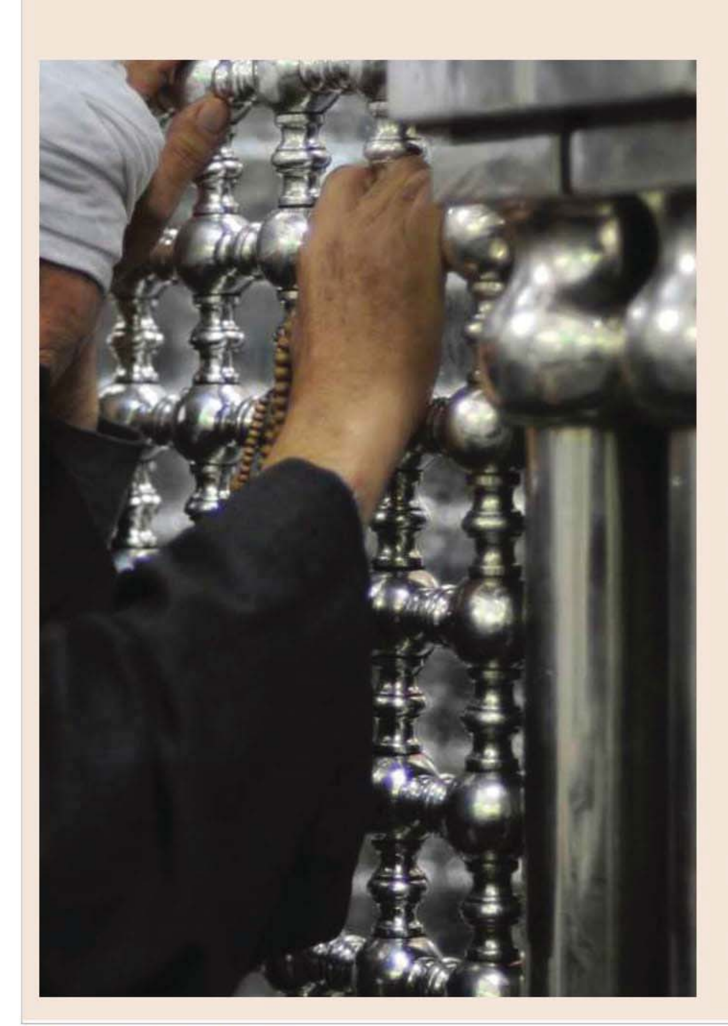
٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به، ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم.

ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

(*) ينظر: كتاب (أصول الإيمان) طباعة مجمع المصحف بالمدينة المنورة



أحكام المأموم

د. عماد الدين خيتي

وجوب متابعة الإمام وتحريم مسابقته:

تجب متابعة الإمام، وتحرم مسابقته: لحديث: (إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَلَا تُكَبِّرُوا حَتَّى يُكَبِّرَ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ..) رواه أبو داود، وأحمد.

تنبيه المأموم للإمام:

يكون تنبيه الإمام واجبًا: فيما يُبطل الصَّلاة تعمُّده كزيادة ركعةٍ، أو لَحَنَ -أخطأ في القراءة- لَحْنًا يغير المعنى.

ويكون مستحبًّا: فيما يفوت كمالًا، كما لو نسيَ الإمامُ أن يقرأ سورة بعد الفاتحة.

ولا يُشرع تنبيهه: إذا ترك سنَّةً من سنن الصلاة التي لا تؤثر على هيئتها كجلسة الاستراحة ورفع اليدين أثناء التكبيرات.

صفة التنبيه:

إذا أخطأ الإمام بفعلٍ من أفعال الصلاة: يسبح الرجال، وتصفق النساء بضرب اليدين ببعضهما لإصدار صوت يؤدي للتنبيه.

صلاة المنفرد خلف الصف:

أ- إذا دخل الشخص المسجد ووجد الإمام راكعًا، فكبر قبل أن يصل للصف وركع، ثم تقدم فدخل في الصف: فتصح صلاته، مع الكراهة.

ب- إذا صلى في صف وحده صلاة كاملة فصلاته صحيحة على الأرجح، مع الكراهة.

تسوية الصفوف وسد الفُرج:

تسوية الصفوف واجبة، ويستحب للإمام الأمر بذلك، كقول: تراصوا، واعتدلوا، وسووا صفوفكم؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ.

الترغيب في الصف الأول وميامن الصفوف:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) رواه البخاري، ومسلم.

ومعنى: (يَسْتَهِمُوا): يقترعوا، و(التَّهْجِيرِ): التبكير، و(الْعَتَمَةِ): صلاة العشاء.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ) رواه أبو داود، وابن ماجه.

التبليغ خلف الإمام:

يستحب التَّبليغ خلف الإمام للحاجة كعدم بلوغ صوت الإمام للمأمومين، وذلك برفع الصوت في التكبير ليعلم المأمون البعيدون بانتقالات الإمام، ولا يُشرع التبليغ في القراءة.

مسائل متفرقة في صلاة الجماعة:

علو الإمام أو المأموم:

يُكره أن يقف الإمام أعلى من المأموم، فإن كان لذلك غرض مثل: تعليم الصلاة، أو لضيق المكان، أو غير ذلك، فإنه لا كراهة حينئذ.

أما علو المأمومين: فجائز، لورود ذلك عن بعض الصحابة.

اقتداء المأموم بالإمام مع الحائل بينهما:

يجوز اقتداء المأموم بالإمام وبينهما حائل من جدار، أو طريق، إذا علم حركاته في الصلاة برؤية أو سماع.

وقد ورد أنَّ النبي ﷺ صلى والناس يأتمون به من وراء الحجرة يصلون بصلاته.

موقف المأمومين في الصلاة:

يختلف موقف المأمومين بحسب عددهم وجنسهم، كما يلي:

١_ موقف الواحد والاثنين فصاعدًا من الإمام:
الواحد عن يمين الإمام. والاثنين فصاعدًا خلفه.

٢_ موقف المرأة من الصفوف:
إذا حضرت المرأة الجماعة وقفت خلف الرجال، سواء كانت وحدها أو مع غيرها من النساء.

٣- موقف الصبيان والنساء من الرجال:
يقف الرجال أولًا، ويليهم الصبيان، ثم النساء.

وهذا الترتيب في حال إذا ما انضبط الصبيان في الوقوف وحدهم، أما إذا خيف انشغالهم عن الصلاة بالعبث: فالأفضل أن يكونوا في الصفوف مع الرجال.



أخــلاق وآداب

العمل الإسلامي بلغة الحب

عامر البوسلامة

العمل، هذه الكلمة الدافئة، التي تحمل في جرسها، مشاعر تحقيق الذات، المليئة بالعطاء، والذخر يوم اللقاء، إنها نداء الفطرة، وبرنامج الحياة، والشعور بإنسانية الإنسان، وبها كان التكليف، وهي التي لولاها لكان الضياع، بها تكون السعادة، ولأجلها تقبل الأيدي الخشنة، فلا غرو! فالعمل هو البناء، وهو صناعة الحياة.

ما أجمل قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:١٠٥].

ولا يكون العمل بهذه المنزلة، إلا إذا كان إيجابيًا، يقوم على قواعد الرشد، ويحمل معاني القيم الفاضلة، «وأجندات» الفضيلة، ومعالم الصلاح، ومحطات زاد الأمل، الذي لا يعرف اليأس، يدرك فريضة الوقت، ويستوعب واجب الساعة، يستند إلى الماضي، ويقف على الحاضر، ويستشرف المستقبل، يقوم على التخطيط، ويرسم الأهداف بعناية، ويعملون على الأخذ بالسنن الكونية، وليت شعري!

أي شيء في الوجود ينطبق عليه هذا الوصف، أكثر من العمل الإسلامي، من هنا كان العمل مقرونًا بالإيمان؛ «آمنوا وعملوا»، والعمل مفردة من مفردات الإيمان، يزيد الإيمان بالعمل الصالح، وينقص بالمعاصي.

وأشنع شيء في حياة المسلم الكسل، وأبشع صورة من صوره الكسالى، أولئك الذين يضيعون أوقاتهم بالقيل والقال، وكثرة المراء، واستمرار الجدل، يتسكعون في دروب الضياع، فهم يمثلون حالة العالة، الذين يتكففون الناس، ويعيشون على هامش الدنيا، وعلى أرصفة البطالة، وعلى موائد أصحاب المن بالأذى، فيذوقون ضريبة ضياعهم وشرودهم، وآثروا أن تكون يدهم سفلى، وحرموا شرف اليد العليا، لا همَّ له سوى نفسه، يحب بطنه، ويعشق مصالحه، ويعيش نشوة أنانيته، فهذا والله سبة وعار.

العمل الإسلامي ليس حبيس زاوية من زوايا الحياة، ولا أنيس جليس منفرد على قارعة طريق الدنيا، المتفجرة بالمتغيرات، بل هو يشمل مفردات الحاجة البشرية، تحقيقًا لمعاني الكرامة والحرية والحقوق، والعبودية لله رب العالمين، فيه المسجد، والمشفى، والجامعة، والمصنع، والمركز البحثي، وفنون العمارة، ورائعات الذوق الرفيع، والحدائق والمزارع والبساتين الغناء، والأسواق المتنوعة، لك في بابه، وقد اختص بجانب من جوانب التجارة أو الصناعة، ترى فيه الصناعات التقليدية، وتشاهد في بعض جوانبه معاهد غزو الفضاء، مراكز حقوق الإنسان، والدفاع عن الحريات، ونصرة المظلومين، شغلهم الشاغل، الذي لا يقطعهم عنه، ظلم ذوي القربى، ولا تهديد السلطان، نشروا التواصل مع الناس، فبنوا مؤسسات المجتمع الأهلي، خدمة للناس، وارتفاعًا بهم إلى سلم المعالي، سعادتهم خدمة الآخرين، وقانونهم «خير الناس أنفعهم للناس».

وأصحابه لا يعيشون في الكهوف، ولا اختاروا مغارة من مغارات السلب، يختبئون وراء ظلها، بل هم من شمر عن ساعد الجد، وشدوا المآزر، وأيقظوا الناس، فرسان النهار، في كل شعب الحياة، لا يلينون، ولا يستهترون، يدركون قيمة الزمن، ويعرفون قدر الوقت، ويرتبون أولوياتهم ضمن رؤى كلية، يتبنون بذور الأشجار المزهرة القادمة التي أصلها ثابت، وفرعها في السماء، يؤمنون بأن الحياة عقيدة وجهاد، وكفاح من أجل تحقيق الشهود الحضاري، على قيم الإسلام السمحة، التي ترفعت على العصبيات للون أو جنس، أو بلد وحدود جغرافية، بل أنشدوا أناشيد الثقة بالنفس.

ماضٍ، وأعرف ما دربي وما هدفي
والموت يرقص لي في كل منعطف
وما أبالي به حتى أحاذره
فخشية الموت عندي أبرد الطرف
ولا أبالي بأشواك ولا محن
علىً طريقي وبي عزمي، ولي شغفي
أنا الحسام، بريق الشمس في طرف مني
وشفرة سيف الهند في طرف
ورب سيل لحون سال من كلمي
ورب سيل جحيم سال من صحفي
أهفو إلى جنة الفردوس محترقًا
بنار شوقي إلى الأوفياء والغرف
يا دهر! ماذا من الأيام أطمع
في سعودهن؟ وما فيهن يطمع فيَّ؟
مضى الذين شغاف القلب يعشقهم
من الأحبة، من حولي، فوا لهفي!
وصرت حقل هشيم غربة وأسىً
يجتاحني شرر التحنان والأسف
وا حرّ شوقي إليهم كلما هجست نفسي
ونفسي بهم مجنونة الكلف
إني سئمت هوى الدنيا وزهرتها
ومل قلبي ذرًا روضاتها الأنف
وقد بلوت لياليها وأنهرها
فتىً وحزت لآليها من الصدف
فلم أجد غير درب الله درب هدىً
وغير ينبوعها نبعًا لمغـــترفِ
فطرت أسعى إليه أبتغي تلفي به
ورب خلود كان في تلفِ
والناس تصرخ أحجم، والوغى نشبتْ
والله يهتف بي: أقدم ولا تخفِ
ماضٍ، فلو كنتُ وحدي والدنا صرختْ بي
قِفْ، لسرتُ فلم أبطئ ولم أقِفِ

وفي الليل رهبان.. التوكل على الله إمامهم، يطبقون قاعدة «اعقلها وتوكل»، ويفقهون حقيقة التوكل على أنها بناء كبير، في فضاءات واسعة، تجمع بين الجهد البشري، والتوفيق الإلهي، وينبذون التواكل، ويرفضون نظرية «الجبرية»، بل يعملون بقواعد السياسة الشرعية، ونظروا إلى ما حولهم، ومن يحيط بهم، فرسموا الخطط، ووضعوا البرامج، واشتغلوا بالراجح من مصالح العباد.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسن فهمه فيها؛ لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة.

فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها. وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشرعية، علمها من علمها وجهلها من جهلها، إلى أن يقول: فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه، ونحن نسميها سياسة تبعًا لمصطلحهم، وإنما هي عدل الله ورسوله».

حادثة معبر نصيب:
فقه التعامل مع الأزمة

الشيخ ياسر المقداد

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

فإن إشاعة الفاحشة قد تكون أعظم من الفاحشة نفسها..

لقد بدأ يتبارى الناس بشكل محموم في نقل خبر نهب معبر نصيب أكثر من نشاطهم في نقل الانتصارات!

الذي ساءني أكثر من الحدث نفسه، هو ما رأيته على صفحات الفيس، حيث راح كل واحد يتفنن في انتقاء الصور وعرضها على صفحته الشخصية، ثم يكتب: هؤلاء لا يستحقون النصر.. وآخر: أهؤلاء الفاتحون.. وآخر: أين الحياء.. إلخ

أهو استعجال من أجل تبرئة الساحة الشخصية..؟! أم حتى يقال أنه شريف زمانه وحكيم أوانه!!؟

فهل مثلُ هذا ينشرُ فضيلةً.. أو يقلِّل مفسدةً.. أو يؤخِّر شرًّا؟

يقول ابن كثير في تفسيرقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: «وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا يكثر منه ويشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بالحد، وفي الآخرة بالعذاب، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فردوا الأمور إليه ترشدوا».

ويقول ابن عاشور: «وجُعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيهًا على أن محبة ذلك تستحق العقوبة لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين. ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيرًا حتى يصدر عنه ما هو محب له أو يُسَر بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه. وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار. وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف وعذاب الآخرة وهو أظهر لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة.

ومن أدب هذه الآية أن شأن المؤمن أن لا يحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحب لنفسه، فكما أنه لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء كذلك يجب عليه أن لا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين.

ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية فإن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بله الإقدام عليها رويدًا رويدًا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة.

هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضر بالناس ضرًا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب.

ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي يعلم ما في ذلك من المفاسد فيعظكم لتجتنبوا وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضر وهذا كقوله:﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:

«﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة، ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشِّه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟» وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلذلك علَّمكم، وبيّن لكم ما تجهلونه.



بأقلامهن

إيثارُ (حُرٍ) يتيم

رقية الزيبق

حدث في فصل الشتاء البارد أني كنت عائدة مع طفلتي ذات الأربع سنوات للمنزل بسبب توقف الأمطار لهذا اليوم، فالشوراع والطرقات مبتلة تشكو الامتلاء بالمياه المعجونة بالطين..

وفجأة !! زلقت قدم طفلتي لتسقط بجسدها الصغير في بركة طين مشبعة بالأوساخ، فتغطت ثيابها بالسواد، وهي المعروف عنها الاهتمام بنظافتها حتى حازت على جائزة النظافة الشخصية بجهدها الدائم، وماهي ثوانٍ حتى امتصت الصدمة وبدأت تشكو القذارة التي تعلقت في يديها وثيابها، وأنا أحاول تهدأتها وصرف انتباهها لأمور أخرى، وبغمرة انشغالنا يظهر بجانبنا ثلاثة أطفال يغطي السواد والتراب وجوههم وثيابهم، أوقفني أحدهم قائلًا:

خالة الله يحفظلك هذه الصغيرة أريد فقط (ليرة)، لم أعره انتباهًا بداية الأمر، لكن فجأة دار في ذهني خاطر، وقلت له مداعبة:

ما رأيك أن تبدل ثيابك بثياب ابنتي؟ ونبرة صوتي تدل على أنني أمازحه!

تعجب! فكررت على مسامعه ما قلت.

ضحك ونظر إلي وكأنه يتأكد أني لا أمازحه، وبدأ بخلع كنزته الرقيقة التي لا يلبس غيرها،

هنا انقلبت اللعبة!

أوقفته وأنا في حالة صدمة، وسألته: أترضى أن تلبس ثياب فتاة ؟!

قال لي وشفتاه ترتجف بردًا وبصره لا يتزحزح عن عينيّ: لا، بل سآخذهم لأختي.

قلت له والحيرة تأكلني: وأنت تبقى بلا ثياب !!

أجابني بصوتٍ مبحوح ضعيف: إلي الله خالة.

بدأت معه بلعبةٍ نويت فيها أن أعلمه أن لا يطلب من الناس شيئا، فأنهى اللعبة معي بدرس ما زلت لليوم أتعلمه من أطفال سوريا.

ودعته بقبلة طبعتها علًى خده المغطى بالسواد، ووعدته أني سأزوره في معهد القرآن الذي يدرس به وأسلمه بيدي ثيابًا تدفئه هو وأخته (حياة).

هو طفلٌ حُر، عمره ٦ سنوات ونصف، سوريٌ من إدلب.



وقولوا للناس حسنًا

أمينة أحمد زاده

الكلمة الطيبة، هداية الله وفضله لعباده: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]، وهي رسالة المرسلين، وسمة المؤمنين، دعا إليها رب العالمين في كتابه الكريم فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

إن القرآن الكريم بيّن لنا أهمية الكلمة الطيبة وعظيم أثرها واستمرار خيرها، وبين خطورة الكلمة الخبيثة وجسيم ضررها وضرورة اجتثاثها، يقول جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ -٢٥ -٢٦].

يقول ابن القيم رحمه الله: «شَبّه الله سبحانه الكلمة الطيبة - كلمة التوحيد - بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة تثمر الثمر النافع».

الكلمة الطيبة هي حياة القلب، وهي روح العمل الصالح، فإذا رسخت في قلب المؤمن وانصبغ بها ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] وواطأ قلبُه لسانَه، وانقادت جميعُ أركانه وجوارحه، فلا ريب أن هذه الكلمة تؤتي العمل المتقبَّل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

والكلمة الطيبة هي كلمة الحق ثابتة الجذور، سامقة الفروع لا تُزعزعها أعاصير الباطل، ولا تحطِّمها معاول الهدم والطغيان، تقارع الكلمةُ الطيبةُ كلمةَ الباطل فتجتثّها فلا قرار لها ولا بقاء، لا بل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

الكلمة الطيبة حيَّةٌ نابضة، لا تموت ولا تذوي، لأن بذورها تنبت في النفوس المؤمنة الثابتة على الإيمان، المتجددة بتجدد الأجيال، التي تعرف حقيقة وجودها ومعالم طريقها، والتي بها: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

رسول الله ﷺ -هو المثل الأعلى لأمته- لم يكن فظًا غليظًا، بل كان سهلًا سمحًا، لينًا، دائم البشر، يواجه الناس بابتسامة حلوة، ويبادرهم بالسلام والتحية والمصافحة وحسن المحادثة، علّمنا أدب التخاطب وعفة اللسان فقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه ابن الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

وعلمًا أن «الكلمة الطيبة صدقة» كما قال نبيُّنا ﷺ في الحديث المتفق عليه، وأنها تحجب المؤمن من النار؛ ففي حديث عمر بن حاتم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «اتّقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» رواه أحمد في مسنده.

وأن الكلمة الطيبة شعبة من شعب الإيمان؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» متفق عليه.

وبالكلمة الطيبة تتحقق المغفرة لقوله ﷺ: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام» رواه الطبراني، بل إن الكلمة الطيبة سبب في دخول الجنة؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام أطعم الطعام بات لله قائمًا والناس نيام» رواه أحمد في مسنده.

والكلمة -أيتها الأخت المسلمة والأخ المسلم- معيار سعادة الإنسان أو شقائه، فبكلمة ينال العبد رضوان الله فيرفعه بها إلى أعلى الدرجات، وبكلمة يسخط الله عليه فيهوي بها إلى أسفل الدركات، ففي الصحيحين عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم».

فكم من كلمة طيبة كتب الله بها الرضوان: تدفع عن مسلم أذى، أو تنصر مظلومًا، أو تفرِّج كُربة، أو تعلّم جاهلًا، أو تذكّر غافلًا، أو تهدي ضالًا، أو ترأب صدعًا أو تطفئ فتنة؟! وكم من مشاكل حُلّت، وكم من صِلات قَوِيَت، وكم من خصومات زالت بكلمة طيبة؟!

وكم من كلمة خبيثة مزقت بين القلوب، وفرقت بين الصفوف، وزرعت الأحقاد والضغائن في النفوس وخربت كثيرًا من البيوت؟ فمن ألجم لسانه بلجام الإيمان وعطّره بطيب الأقوال قاده الرحمن إلى الرضوان وأعالي الجنان، ومن لطّخ لسانه بقبح الكلام من زور وفُحش وكَذِب وبهتان هوى به الشيطان إلى دركات النار «وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟!» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

السلف الصالح والمؤمنون الصادقون الصالحون كانوا يتعهدون ألسنتهم ويحرصون على انتقاء كلماتهم وألفاظهم فعاشوا أتقياء أنقياء أصفياء وسعداء. فهذا الأحنف، ابن قيس يخاصمه رجل فيقول له: لئن قلت واحدة لتسمعن عشرًا، فيقول له الأحنف: لكنك والله لو قلت عشرًا ما سمعت واحدة».

يقول وهب بن منبه: «ثلاث من كُنّ فيه أصاب البر: سخاوة النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام»؛ إن الكلام الليّن يغسل الضغائن المستكنّة في النفوس، ويحول العدو اللدود إلى حميم ودود.

مرّ يهودي يجر وراءه كلبًا بإبراهيم بن أدهم فأراد أن يستفزه فقال له: يا إبراهيم ألحيتك أطهر من ذَنَب هذا الكلب أم ذنبه أطهر منها؟ فرد عليه إبراهيم بهدوء المؤمن وأدبه وقوة حجته: إن كانت لحيتي في الجنة فهي أطهر من ذَنَب كلبك، وإن كانت في النار لذنب كلبك أطهر منها.. فما كان من اليهودي إلا أن قال: دينٌ يأمر بهذه الأخلاق حريّ بي أن أتّبعه، ونطق الشهادتين!!!

أخواتي وإخوتي: البِـرَ شيء هيِّن: وجه طليق وكلام ليِّن، فلنرطِّب ألسنتنا بالكلمة الطيبة التي تزيل الجفاء، وتذهب البغضاء والشحناء، وتدخل إلى النفوس السرور والهناء والمحبة والمودّة والوئام.

لتكن كلماتنا مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، نبني حياتنا بوحي من هداها، نتنسّم عبير شذاها مستجيبين لنداء رب العالمين: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

تراجم

الشيخ محمد محمود الحامد الحموي (١٣٢٨ هـ- ١٩١٠م /١٣٨٩ هـ- ١٩٦٩م)

أسرة التحرير

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة حماة سنة ١٣٢٨هـ ١٩١٠ م، لأسرة متديّنة فاضلة، ونشأ يتيمًا فقيرًا، فقد توفي والده وعمره ستة أعوام، ثم ما لبثت أن توفيت والدته في السنة نفسها.

أنفق عليه أخوه الأكبر بدر الدين البالغ من العمر خمس عشرة سنة حتى أكمل دراسته الابتدائية سنة ١٩٢٢ م، ثم اشتغل في محل خياطة نهارًا، وتابع طلب العلم الشرعي في المساجد ليلًا.

تعليمه:

تلقى العلوم الشرعيّة على خاله الشيخ سعيد الجابي، والشيخ محمد سعيد النعساني، وتوفيق الصباغ وغيرهم، ثم التحق بدار العلوم الشرعيّة بحماة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م. فكان ذا نبوغ لفَتَ أنظار علمائها، حتّى قال فيه الشيخ أحمد الشّماع: «بحرٌ لا تنزحه الدلاء».

ثم توجّه إلى المدرسة الخسرويّة الشرعيّة بحلب سنة ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م وكانت تضمّ جماعةً من العلماء أمثال: الشيخ أحمد الزرقا، وأحمد الكردي مفتي الحنفيّة، وعيسى البيانوني، وإبراهيم السلقيني، وراغب الطباخ، ومحمد الناشد. أخذ الطريقة النقشبنديّة عن الشيخ أبي النصر سليم خلف الحمصي، وسلك طريقة التصوّف.

رحل إلى القاهرة، لإكمال دراسته في الأزهر، ونال العالميّة في العلوم الشرعيّة سنة ١٣٦٢/١٩٤٢م وتخصّص في القضاء. واتصل خلال إقامته في مصر بحسن البنا، وصحبه وتتلمذ عليه في العمل الحركي الدعوي إلى سنة ١٣٦٤هـ- ١٩٤٤م، وكان رفيق رحلته في مصر الشيخ مصطفى السباعي.

حبّب الله إليه طلب العلم فكان لا يقتصر على الكتب المدرسية المقرّرة بل يُقبل بشغف عظيم على كتب العلم ومعارفها.

دعوته:

عاد من مصر في سن الخامسة والثلاثين، وتزوّج بعدها بفترة يسيرة، وكانت المدّة التي قضاها بعد رجوعه حتّى توفي، هي الفترة الذّهبية في إنتاجه، وكان لها مظاهر ثلاثة:

أولها: ثباته في وجه مظاهر الإلحاد والعلمانية التي خلّفها المستعمر قبل رحيله.

حيث لم يخرج المستعمر حتّى خلَّف من يتابع طريقه في محاربة الإسلام وأهله باسم الفكر، فانتشرت موجات الإلحاد متمثلةً بالمد الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني، الذي اجتذب الأقليات الطائفية التي تتركّز الأرياف، وقلّة من الفاسدين من أبناء المدينة، فعمل على التصدي لها في جميع الميادين الفكرية والعقدية والفقهية، والأخلاقية والسلوكية، عبر مقالات صحفية ورسائل علمية، وعلى منبر المسجد، وفي قاعات التدريس، وفي المحافل العامة، وغيرها، فدافع عن الإسلام وكشف كثيرًا من الشبهات.

ثانيها: كتاباته في شؤون شتّى، بيانًا لحكم شرعي، ونصيحة للأمّة، وجلاء للحقيقة.

فكتب عن الاشتراكية، وعن المرأة، وعن المسكرات، وعن الغناء، وكتب دفاعات مختلفة عن الإسلام ومصادره وكشف كثيرًا من الشبهات.

الثالث: الإسهام في تكوين جيل مؤمن واع مستقيم.

فاستلم مهام التدريس والخطابة في جامع السلطان، كما تسلّم تدريس التربية الإسلامية في «التجهيز الأولى» والتي تغير اسمها إلى «ثانوية ابن رشد» فمكث فيها حتى تقاعد قبل وفاته بأقل من سنة.

وكان يُعطي مساء درسًا في جامع السلطان يتناوب بين تفسير القرآن الكريم والفقه والحديث، أو السيرة أو المواعظ والرقائق، وصباح كلّ يوم درسًا في غرفة في «مسجد الجديد»، يحضره بضعة تلاميذ، فيكون الدرس غنيًّا بالبحث والتحقيق، واللفتات اللغوية والبلاغية. كما حمل السلاح في وجه الاستعمار الفرنسي، وكان في مقدّمة المطالبين بالاستقلال والحريّة لبلاده.

صفاته:

كان الشيخ محمد الحامد ذا فكر ثاقب، وعاطفة الجياشة، وتواضع، وحياء وأدب، وورع، وغيرة على دين الله، داعية خير ووئام، يكره الفتن، ويحارب الانحراف، حريصًا على وحدة المسلمين. وكان محققًا، شاعرًا، فصيحًا إذا خطب، عف اللسان، متأدّبًا مع العلماء، وكان لا يسكت على مخطئ يقول أمامه كلمة بل كان ينصح ويصحّح.

كان يخشى من دعوى الاجتهاد وما يترتّب على ذلك من فوضى في الفتوى؛ فكان متشدّدًا في الفتوى، لا يفتي إلاّ إذا درس ودارس واطمأنّ.

قال عنه الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في رحلة صحبه فيها إلى مصر: «وجدته صاحب نكتة، وفي روحه خفّة على القلب، وفي سلوكه أنس للنفس، وأنا أكره المتزمّتين الذين يتكلمون الجدّ دائمًا، أو يحرصون على (المشيخة) والمشيخة غير العلم، وغير التدريس والتهذيب».

من مؤلفاته:

- نقد كتاب اشتراكية الإسلام للسباعي.
- (ردود على أباطيل) في جزئين وهو مجموعة رسائل، ومقالات، ومجموعة أسئلة فقهيّة وأجوبتها.
- التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر.
- رسالة حكم الإسلام في الغناء.
- حكم اللحية في الإسلام.
- القول في المسكرات.
- حكم الإسلام في مصافحة المرأة الأجنبية.
- نكاح المتعة حرام في الإسلام.

مرضه ووفاته:

كان لأحداث قصف جامع السلطان عام (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) تأثير كبير على الشيخ محمد الحامد، فبدأ المرض يدبّ في جسمه، وتشمّع كبده، وتفاقَمَ حتى كان يقيء الدم في نوبات حادة، ولمّا اشتد به المرض ذهب إلى لبنان للعلاج وأُجريت له عملية جراحية ثمّ أُعيد إلى حماة فمكث ثلاثة أيام ثمّ فاضت روحه ليلة التاسع عشر من صفر بعد العشاء، وكان ذلك عام ١٣٨٩هـ الموافق لمساء ٥ من أيار ١٩٦٩م، رحمه الله.

واحة الشعر

في محبة الرسول ﷺ

د. فوزية المطيري

بأبي وأمي أنت يا خير الورى
وصلاةُ ربي والسلامُ معطرا
يا خاتمَ الرسل الكرام محمدٌ
بالوحي والقرآن كنتَ مطهرا
لك يا رسول الله صدقُ محبةٍ
وبفيضها شهِد اللسانُ وعبّرا
لك يا رسول الله صدقُ محبةٍ
فاقتْ محبةً كل مَن عاش على الثرى
لك يا رسول الله صدقُ محبةٍ
لا تنتهي أبدًا ولن تتغيرا
لك يا رسول الله منا نصرةٌ
بالفعل والأقوال عما يُفترى
نفديك بالأرواح وهي رخيصةٌ
من دون عِرضك بذلها والمشترى
للشر شِرذمةٌ تطاول رسمُها
لبستْ بثوب الحقد لونًا أحمرا
قد سولتْ لهمُ نفوسُهم التي
خَبُثَتْ ومكرُ القوم كان مدبّرا
تبّت يدًا غُلَّتْ بِشرّ رسومِها
وفعالِها فغدت يمينًا أبترا
الدينُ محفوظٌ وسنةُ أحمدٍ
والمسلمون يدٌ تواجِه ما جرى
أوَ ما درى الأعداءُ كم كنـا إذا
ما استهزؤوا بالدين جندًا مُحضَرا
الرحمةُ المهداةُ جاء مبشّرا
ولأفضلِ كل الديانات قام فأنذرا
ولأكرمِ الأخلاق جاء مُتمِّمًا
يدعو لأحسنِها ويمحو المنكرا
صلى عليه اللهُ في ملكوته
ما قام عبدٌ في الصلاة وكبّرا
صلى عليه اللهُ في ملكوته
ما عاقب الليلُ النهارَ وأدبرا
صلى عليه اللهُ في ملكوته
ما دارت الأفلاكُ أو نجمٌ سرى
وعليه من لدن الإلهِ تحيةٌ
رَوْحٌ وريحانٌ بطيب أثمرا
وختامُها عاد الكلامُ بما بدا
بأبي وأمي أنت يا خيرَ الورى

إلى الغلاة

طفلة الأقصى

سفكوا الدما باسم الجهاد وكفروا ... بتأوّلِ الحمقى وقالـوا : باقية
لا والـذي فـرض الجهاد لأمتي ... هذي الشراذمُ عن قريبٍ فـانية
كلا ولا ذي دولة الإسـلام أو ... نهج النبوة بل ذئاب عـاوية
ما هؤلاء بقدوةٍ لمجـاهدٍ ... حاشا الجهاد عن النفوس البالية
يتقربون إلى الإلهِ بظلـمنا ... أنى تُقَرَّبُ ذي القلوبُ القاسيةْ!
يا ويحهم من غبنِ يوم آخِـرٍ ... يجدون مقعدهم بأسفل هاويـة
يقضي الإلهُ العدلُ بين عبـادهِ ... والبدءُ بالدَّم ، ذاك يوم الغاشيـة
سيقولُ حينئذٍ مقـالة نادم ... في يوم لا تجدي الدموع الجارية:
لمْ تُغْـنِ عني دولتي وجنودُها ... لم تُغْنِ عني حينها سلطـانيه
أين الذي قد كـان يأمرنا افلقوا ... رأس المخالف واسمعوا لمقـاليه
أين الأميرُ وأين أين جنـودُهُ ... كلٌّ يئنّ بحالِه عن حـاليه
لو أفتديني من عـذابٍ حاضرٍ ... بابني وصاحبتي وأعظمِ مـاليه
اخسأ فقد جاءتـك كلُّ مواعظٍ ... وأبيتَ إلا أن تـردِّد باقية
أسرفتَ في سفك الدما بـتأولٍ ... وأتيت نحو جهنـم بطواعية
شَرُّ الأنام على الجهادِ خـوارجٌ ... طوبى لقاتلِ ذي الوحوش الضارية
حدثاءُ أسنانٍ ، قليلٌ وعـيهمْ ... سفهاءُ أحلامٍ ، عقـولٌ واهية
سمّاكُـمُ خيرُ البرية جهرةً ... باسم يليق بخبثكـم يا باغية
بكلابِ أهلِ النارِ ، صـحَّ حديثُهُ ... ولأنتمُ أولى بنـارٍ حامية
باللهِ أنتمْ أهلُ حقٍّ وحـدكم ... وجميع مليارٍ جموعٌ عاصـيةْ!
من قال هالـكةٌ فهُوَ أولى بها ... وتظلُّ أمّتَنا بحال راقيـة
سيـروا بأرضِ اللهِ يومًا وانظروا ... ذي أمةُ الإسـلامِ منكمْ شاكية
قد أجمعتْ بضلالكمْ وفجـوركمْ ... معصومةٌ إنْ أجمعتْ لا سـاهية
يا مارقين عن الجماعـةِ لن تروا ... حضنًا كأمّتنا الـرؤوم الحانية
لا باركَ القهارُ يومًا جمعَـكمْ ... واقتصَّ منكم يا جموعًا عـادية
تكفيركمْ للمسلمين وجهلـكمْ ... عادٍ عليكم بالشرورِ العـاتية
تفجيركمْ في المسلمين وبغيـكمْ ... ستظلُّ لعنته عليـكم آتية
واللهِ إنَّ اللهَ يسمعُ مشـركًا ... يدعوه مظلـومًا بنفسٍ باكية
هذا لأنَّ اللهَ ليس بمصـلحٍ ... عملَ الظلـوم ولو تسمّى : داعية
فبأيِّ نصرٍ سوفَ ينصرُ مسلـمًا ... جارتْ دِماهُ إلى القديـر : اثأرْ ليه
ولينصرنّ اللهُ دمعةَ مسـلم ... صَعَدتْ له كانـت عليكم داعية
واللهِ ما شَكَّتْ بذاك نفوسُنـا ... ذي سُنَّةٌ في الكـونِ دومًا ماضية

من إنجازات الهيئة

